No 4A العدد 4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

الأسواق والحرف في المدن الاندلسية والمغربية من خلال كتب الحسبة والوثائق التجارية.

م.د سناء ضاري زيدان
جامعة ديالى/ كلية التربية المقداد
Sana.dhari@uodiyaia.edu.iq

الملخص

يتناول هذا البحث استكشاف الأسواق والحرف في المدن الأندلسية والمغربية من خلال كتب الحسبة والوثائق التجارية، التي تُعد مصادر غنية تكشف عن طبيعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الغرب الإسلامي كانت الأسواق تمثل القلب النابض للمدينة، حيث تتلاقى السلع والثقافات وتتكون العلاقات الاجتماعية، بينما كانت الحرف تشكل العمود الفقري للإنتاج الصناعي وتساهم في تشكيل هوية حضارية فريدة، كما لعبت مؤسسة الحسبة دورًا رقابيًا شاملًا، حيث ضمنت التوازن بين مصالح التجار والحرفيين والمستهلكين، بينما كانت الوثائق التجارية شاهدة حية على طبيعة المعاملات الاقتصادية والمالية، ومن خلال هذا التفاعل بين الأسواق والحرف والحسبة، استطاعت الحضارة الإسلامية في الأندلس والمغرب أن تحقق توازنًا بين القيم الدينية والتنظيم العملي، وأن تُنشئ نظامًا اقتصاديًا متكاملًا ترك أثره في صفحات التاريخ.

الكلمات المفتاحية: الأسواق - الحرف - الحسبة - الوثائق التجارية .

Markets and crafts in Andalusian and Moroccan cities through the books of Hisbah and commercial documents.

Dr. Sanaa Dhari Zeidan
University of Diyala / Al-Miqdad College of Education

Abstract:

This research explores markets and crafts in Andalusian and Moroccan cities through the books of the Hisbah (market supervision) and commercial documents, which are rich sources revealing the nature of economic and social life in the Islamic West. Markets were the beating heart of the city, where goods and cultures converged and social relations were formed. Crafts formed the backbone of industrial production and contributed to shaping a unique cultural identity. The Hisbah institution played a comprehensive supervisory role, ensuring a balance between the interests of merchants, artisans, and consumers. Commercial documents, meanwhile, served as living witnesses to the nature of economic and financial transactions. Through this interaction between markets, crafts, and the Hisbah, Islamic civilization in Andalusia and Morocco was able to achieve a balance between religious values and practical organization, establishing an integrated economic system that left its mark on the pages of history.

Keywords: Markets - Crafts - Hisbah - Commercial Documents .

المقدمة:

شهدت المدن الأندلسية والمغربية خلال العصور الوسطى فترة من الازدهار الاقتصادي والاجتماعي جعلتها مراكز حضارية بارزة في العالم الإسلامي، كانت الأسواق تمثل قلب الحياة اليومية، حيث تلتقي السلع المحلية والمستوردة، وتتداخل العلاقات بين التجار والحرفيين والمستهلكين في فضاء يعكس حيوية المجتمع

وتنوعه، لم تكن الأسواق مجرد أماكن للبيع والشراء، بل كانت فضاءات اجتماعية وثقافية تحدد إيقاع المدينة وتعكس بنيتها الاقتصادية.(١)

أما الحرف، فقد كانت العمود الفقري للإنتاج الصناعي، حيث تميزت المدن الأندلسية والمغربية بتنوعها بين الصناعات الدقيقة مثل الخياطة والصياغة، والصناعات الثقيلة كالحِدادة والفخار، ارتبطت هذه الحرف بتنظيمات مهنية دقيقة تضمن جودة الإنتاج وتحافظ على مكانة الحرفيين في المجتمع، مما جعلها جزءًا أساسيًا من البنية الاجتماعية والاقتصادية.(٢)

وفي قلب هذا النشاط الاقتصادي، برزت مؤسسة الحسبة كجهاز رقابي يضمن التوازن بين مصالح التجار والحرفيين والمستهلكين، ويضبط الأسعار والمكاييل ويمنع الغش والاحتكار، كما أن الوثائق التجارية التي خلفتها تلك الحقبة تكشف عن شبكة واسعة من العلاقات الاقتصادية، وتوضح طبيعة العقود والمعاملات التي كانت تؤطر الحياة اليومية في الأسواق.

إن دراسة الأسواق والحرف في المدن الأندلسية والمغربية من خلال كتب الحسبة والوثائق التجارية لا تقتصر على الجانب الاقتصادي فحسب، بل تفتح آفاقًا لفهم البنية الاجتماعية والتنظيمية، وتبرز كيف أسهمت هذه المؤسسات في بناء حضارة متوازنة تجمع بين الدين والاقتصاد، وبين القيم الأخلاقية والأنظمة العملية، ومن هنا تبرز أهمية هذا البحث في الكشف عن ملامح الحياة الاقتصادية والاجتماعية في تلك المدن، وإبراز دورها في تشكيل هوية الحضارة الإسلامية في الغرب الإسلامي.

أولا- إشكالية البحث: كيف ساهمت الأسواق والحرف في تشكيل النسيج الاقتصادي والاجتماعي للمدن الأندلسية والمغربية، كما يتضح من خلال ما ورد في كتب الحسبة والوثائق التجارية؟ وما هو نطاق الدور الذي قامت به مؤسسة الحسبة في تنظيم ومراقبة هذه الأنشطة؟

ثانيا-أسئلة البحث:

١. ما هي طبيعة الأسواق في المدن الأندلسية والمغربية، وما هي أبرز خصائصها من حيث التنظيم والوظيفة؟

٢. كيف كانت الحرف تمارس وتُنظم مهنياً واجتماعياً في تلك المدن؟

٣. ما هو الدور الذي لعبته مؤسسة الحسبة في مراقبة الأسواق والحرف وتنظيم المعاملات التجارية؟

٤. كيف تكشف الوثائق التجارية عن طبيعة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في الغرب الإسلامي؟

٥. إلى أي مدى يمكن اعتبار الأسواق والحرف مرآة تعكس الحياة اليومية في المدن الأندلسية والمغربية؟

ثالثا- أهداف البحث:

- تسليط الضوء على الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية للأسواق والحرف في المدن الأندلسية والمغربية.
- تحليل دور الحسبة كهيئة رقابية تضمن التوازن بين مختلف الفاعلين في المجال الاقتصادي.
- الاستفادة من الوثائق التجارية لإعادة تشكيل صورة دقيقة عن النشاط الاقتصادي.
- ربط النشاط الاقتصادي بالبنية الاجتماعية والتنظيمية للحياة الحضرية.

رابعا-أهمية البحث:

- يسهم في ملء الفجوة المعرفية حول الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الغرب الإسلامي.
- يقدم رؤية جديدة لمصادر أصيلة مثل كتب الحسبة والوثائق التجارية.

- يعزز الفهم للعلاقة بين الدين والاقتصاد في الحضارة الإسلامية.
- يثري الدراسات التاريخية المقارنة بين الأندلس والمغرب.

خامساً- منهجية البحث:

- المنهج التاريخي التحليلي: لتتبع تطور الأسواق والحرف عبر المصادر.
- المنهج الوصفي التحليلي: لوصف طبيعة الأسواق والحرف وتنظيمها.
- المنهج الوثائقي: بالاعتماد على كتب الحسبة والوثائق التجارية كأدوات رئيسية.

سادساً- فرضية البحث:

تفترض الدراسة أن الأسواق والحرف في المدن الأندلسية والمغربية لم تكن مجرد أنشطة اقتصادية، بل كانت تمثل منظومة اجتماعية وثقافية متكاملة، وأن مؤسسة الحسبة والوثائق التجارية لعبتا دوراً محورياً في تنظيم هذه المنظومة، مما يعكس توازن الحضارة الإسلامية بين القيم الدينية والتنظيم العملي.

المبحث الأول- الأسواق في المدن الأندلسية والمغربية

كانت الأسواق في المدن الأندلسية والمغربية خلال العصور الوسطى تمثل نبض الحياة الاقتصادية والاجتماعية، حيث لم تكن مجرد أماكن للتجارة، بل كانت تعبيراً عن روح المجتمع وتوازناته، وتبرز مدى تقدم الحضارة الإسلامية في الغرب، منذ أن استقر المسلمون في الأندلس والمغرب، أصبحت الأسواق جزءاً لا يتجزأ من المدينة، وغالباً ما كانت تُقام بجوار المسجد الجامع أو في قلب المدينة، مما يعكس العلاقة الوثيقة بين الدين والاقتصاد في تلك الفترة، هذا الموقع المركزي جعل الأسواق مركزاً للحياة اليومية، حيث يلتقي الناس لتبادل السلع والأخبار والأفكار، وتُمارس الأنشطة الاقتصادية في إطار من القيم الشرعية والعادات الاجتماعية.[٤]

تميزت الأسواق بتنوعها الواسع، حيث كانت هناك الأسواق اليومية التي تُقام في أحياء المدينة لتلبية احتياجات السكان من المواد الغذائية والسلع الأساسية، بالإضافة إلى الأسواق الأسبوعية أو الموسمية التي تجذب التجار من مناطق بعيدة، والأسواق المتخصصة التي تركز على سلع معينة مثل سوق العطارين وسوق الصاغة وسوق الوراقين وسوق السماكين، هذا التنوع يعكس حيوية الاقتصاد الحضري ويظهر مدى التخصص الذي حققته المدن الأندلسية والمغربية في تنظيم أنشطتها التجارية، كما كانت الأسواق فضاءات اجتماعية وثقافية، حيث تُعرض الكتب والمخطوطات، وتُباع الأقمشة المزخرفة، وتُتداول الأفكار، مما يجعلها جزءاً من النسيج الثقافي للمدينة.[٥]

كما كانت الأسواق تعكس التوازن الاجتماعي، إذ لم تكن مقتصرة على طبقة معينة، بل كانت ساحة يلتقي فيها الفلاحون بمنتجاتهم مع التجار الذين يستوردون السلع من المشرق أو أوروبا، وكانت أيضاً مسرحاً للتفاعل الثقافي، حيث يلتقي المسلمون واليهود والمسيحيون في فضاء واحد، يتبادلون السلع والخدمات، مما يعكس روح التعايش التي ميزت الغرب الإسلامي، هذا التفاعل جعل الأسواق مركزاً للتنوع الثقافي والديني، وأسهم في إثراء الحياة الاقتصادية والاجتماعية.[٦]

ولعبت السلطة دوراً مهماً في تنظيم الأسواق، حيث كانت تحدد مواقعها وتراقب نظافتها والأسعار وجودة السلع، وكان المحتسب يقوم بجولات في الأسواق للتأكد من التزام التجار بالقواعد الشرعية والأخلاقية، مما يمنع الغش والاحتكار ويضبط المكاييل والموازين، هذا الدور الرقابي ساهم في استقرار الأسواق وأضفى عليها طابعاً أخلاقياً يميزها عن الأسواق في الحضارات الأخرى، كما كان المحتسب يتدخل في تنظيم حركة المرور داخل الأسواق ويشرف على توزيع الحرف والأنشطة التجارية، مما يعكس شمولية دوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية.[٧]

تُظهر الوثائق التجارية التي وُجدت من تلك الحقبة شبكة معقدة من العلاقات الاقتصادية، حيث تتضمن العقود تفاصيل عن بيع الأراضي والسلع، بالإضافة إلى الشراكات التجارية والقروض والمعاملات المالية، هذه الوثائق تُبرز أن الأسواق لم تكن مجرد أماكن مادية، بل كانت مؤسسات اقتصادية متكاملة تحكمها قوانين وأعراف خاصة، وتُدار وفق نظام دقيق من الضوابط الشرعية والاجتماعية، كما تكشف عن تطور النظام المالي في المدن الأندلسية والمغربية، حيث نجد إشارات لاستخدام الصكوك والكمبيالات، ووجود نظام متقدم للقروض والائتمان، مما يعكس درجة تطور الحياة الاقتصادية.(٨)

لقد ساهمت الأسواق في تعزيز مكانة المدن الأندلسية والمغربية كمراكز حضارية، إذ جذبت التجار من مختلف المناطق وساهمت في تدفق السلع والثروات، مما عزز دور المدينة في شبكة التجارة العالمية التي امتدت من المشرق إلى أوروبا، ومن خلال هذه الأسواق، تمكنت المدن من تحقيق توازن بين احتياجات السكان اليومية ومتطلبات النمو الاقتصادي، مما جعلها نموذجًا فريدًا في تاريخ الحضارة الإسلامية، كما كانت الأسواق وسيلة لنقل الثقافة الإسلامية إلى أوروبا، حيث تفاعل التجار الأوروبيون مع نظرائهم المسلمين وتأثروا بأساليبهم التجارية والتنظيمية.(٩)

تُظهر دراسة الأسواق في المدن الأندلسية والمغربية من خلال كتب الحسبة والوثائق التجارية مدى تطور الحضارة الإسلامية في الغرب الإسلامي، وكيف استطاعت هذه الحضارة تحقيق توازن بين الدين والاقتصاد، وبين القيم الأخلاقية والتنظيم العملي، كما تُبرز هذه الدراسة دور الأسواق في تشكيل البنية الاجتماعية والثقافية، وتوضح كيف كانت هذه الأسواق فضاءً للتفاعل الحضاري والتنوع الثقافي، ومن هنا تأتي أهمية هذا المبحث في فهم طبيعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المدن الأندلسية والمغربية، وإبراز دورها في تشكيل هوية الحضارة الإسلامية في الغرب الإسلامي.

المبحث الثاني- الحرف والتنظيم المهني في المدن الأندلسية والمغربية

لقد كانت الحرف في المدن الأندلسية والمغربية العمود الفقري للحياة الاقتصادية، حيث قدمت للمدن منتجاتها الصناعية وساهمت في تلبية احتياجات الأسواق من السلع المحلية، مما ساعد في تشكيل هوية حضارية فريدة تميزت عن باقي المراكز الإسلامية، لم تكن الحرف مجرد أنشطة إنتاجية، بل كانت نظاماً اجتماعياً وثقافياً متكاملاً يعكس مكانة الحرفيين في المجتمع ويظهر مدى تطور التنظيم المهني في الغرب الإسلامي، منذ الفتح الإسلامي للأندلس والمغرب، أصبحت الحرف جزءاً أساسياً من الهيكل الاقتصادي، وتطورت مع مرور الزمن لتصبح أكثر تخصصاً وتنظيماً، حتى أصبحت المدن الكبرى مثل قرطبة وفاس ومراكش وغرناطة مراكز صناعية نابضة بالحياة.(١٠)

تعددت الحرف بشكل كبير، فهناك الحرف المرتبطة بالصناعات الغذائية مثل الخبازين والجزارين والسماكين، إضافة إلى الحرف الثقيلة مثل الحدادة والنجارة وصناعة الفخار والزجاج، فضلاً عن الحرف الدقيقة كالخياطة والصياغة والنسيج، هذا التنوع يعكس مدى تطور الاقتصاد الحضري وقدرة المدن الأندلسية والمغربية على تلبية احتياجات سكانها وتصدير منتجاتها إلى الخارج، كما ارتبطت بعض الحرف بالترف والرفاهية، مثل صناعة العطور والأقمشة المزخرفة، مما يعكس مستوى الرقي الذي بلغته هذه المدن.(١١)

ارتبطت الحرف بتنظيمات مهنية دقيقة، حيث كان لكل حرفة نقابة أو جماعة تشرف على تنظيم العمل وتوزيع المهام وضبط جودة الإنتاج، لم تكن هذه التنظيمات مجرد هياكل إدارية، بل كانت مؤسسات اجتماعية تعزز من مكانة الحرفيين وتوفر لهم الحماية والدعم، وتساهم في حل النزاعات بينهم، كما كانت تحدد شروط الانضمام

إلى الحرفة وتُشرف على تدريب المتعلمين، مما يعكس تطور النظام المهني في الغرب الإسلامي.(١٢)

كان للحرفيين مكانة اجتماعية مميزة، حيث شكلوا طبقة وسطى بين التجار والفلاحين، وأسهموا في الحياة الثقافية والسياسية للمدينة، بعض الحرفيين كانوا معروفين بمهاراتهم الفائقة، وكانوا يُكرمون من قبل السلطة أو المجتمع، مما يعكس تقدير المجتمع لدورهم في بناء الحضارة، وقد ارتبطت بعض الحرف بالمساجد أو المؤسسات الدينية، حيث ساهم الحرفيون في بناء المساجد وتزيينها وصناعة أدواتها، مما يعكس العلاقة الوثيقة بين الدين والحرفة.(١٣)

أما كتب الحسبة، فقد لعبت دوراً محورياً في تنظيم الحرف، حيث كانت تحدد شروط ممارسة الحرفة، وتُشرف على جودة الإنتاج، وتمنع الغش والاحتكار، كما كان المحتسب يتدخل في تنظيم الحرف، ويُشرف على توزيعها داخل الأسواق، ويُراقب أدواتها وموادها، مما يعكس شمولية دوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وقد احتوت كتب الحسبة على تفاصيل دقيقة عن الحرف، مثل شروط صناعة الخبز أو الذبح أو صناعة الأقمشة، مما يكشف عن مدى اهتمام السلطة بضبط الحرف وتنظيمها.(١٤)

تُعتبر الوثائق التجارية نافذة تُظهر طبيعة العلاقات بين الحرفيين والتجار والمستهلكين، حيث تُسجل العقود تفاصيل بيع المنتجات الصناعية، وتوثق الشراكات بين الحرفيين، وتتناول القروض والمعاملات المالية المرتبطة بمهنهم، هذه الوثائق تُبرز أن الحرف لم تكن مجرد أنشطة فردية، بل كانت جزءًا من شبكة اقتصادية مترابطة، تُدار وفق نظام دقيق من الضوابط الشرعية والاجتماعية، كما تكشف عن تطور النظام المالي المرتبط بالحرف، حيث نجد إشارات لاستخدام الصكوك والكمبيالات، ووجود نظام متقدم للقروض والائتمان، مما يعكس مدى تطور الحياة الاقتصادية.(١٥)

لقد ساهمت الحرف في المدن الأندلسية والمغربية في تعزيز مكانتها كمراكز حضارية، حيث كانت تلبي احتياجات السكان اليومية، وتُعزز من تدفق السلع والثروات، مما زاد من دور المدينة في شبكة التجارة العالمية، ومن خلال الحرف، استطاعت هذه المدن تحقيق توازن بين متطلبات الحياة اليومية واحتياجات النمو الاقتصادي، مما جعلها نموذجًا فريدًا في تاريخ الحضارة الإسلامية، كما كانت الحرف وسيلة لنقل الثقافة الإسلامية إلى أوروبا، حيث كان التجار الأوروبيون يتعاملون مع نظرائهم المسلمين، ويتأثرون بأساليبهم في الصناعة والتنظيم.(١٦)

إن دراسة الحرف والتنظيم المهني في المدن الأندلسية والمغربية من خلال كتب الحسبة والوثائق التجارية تُظهر مدى تطور الحضارة الإسلامية في الغرب الإسلامي، وتُبرز كيف استطاعت هذه الحضارة تحقيق توازن بين الدين والاقتصاد، وبين القيم الأخلاقية والتنظيم العملي، كما تُسلط الضوء على دور الحرف في تشكيل البنية الاجتماعية والثقافية، وتُظهر كيف كانت جزءًا من منظومة حضارية متكاملة، ومن هنا، تأتي أهمية هذا البحث في فهم طبيعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المدن الأندلسية والمغربية، وإبراز دورها في صياغة هوية الحضارة الإسلامية في الغرب الإسلامي.

المبحث الثالث- الحسبة والوثائق التجارية في المدن الأندلسية والمغربية

تعتبر مؤسسة الحسبة والوثائق التجارية في الغرب الإسلامي عمودين أساسيين لتنظيم النشاط الاقتصادي والاجتماعي. فالحسبة كانت بمثابة الجهاز الرقابي الذي يضمن التوازن بين مصالح التجار والحرفيين والمستهلكين، بينما كانت الوثائق التجارية تمثل الشهادة العملية على طبيعة المعاملات والعلاقات الاقتصادية. ومن

خلال هذين العنصرين، يمكننا أن نفهم كيف استطاعت الحضارة الإسلامية في الأندلس والمغرب تحقيق توازن بين القيم الدينية والتنظيم العملي، وكيف أنشأت نظامًا اقتصاديًا متكاملاً يعكس روح الإسلام ومبادئه.(١٧)

لم تكن الحسبة في المدن الأندلسية والمغربية مجرد وظيفة إدارية، بل كانت مؤسسة تحمل طابعًا دينيًا وأخلاقيًا، حيث كان المحتسب يُعيّن من قبل السلطة لمراقبة الأسواق والحرف وضبط الأسعار والمكاييل والموازين، ومنع الغش والاحتكار، والتأكد من التزام التجار والحرفيين بالقواعد الشرعية، وقد تناولت كتب الحسبة تفاصيل دقيقة عن مهام المحتسب، مثل مراقبة جودة الخبز واللحم والسمك، وضبط مقاييس الأقمشة، والإشراف على نظافة الأسواق، وتنظيم حركة المرور فيها، جعل هذا الدور الشامل الحسبة جزءًا لا يتجزأ من الحياة اليومية، وأسهم في تعزيز الثقة بين أفراد المجتمع، إذ كان الناس يرون في المحتسب حاميًا لحقوقهم وضامنًا لعدالة السوق.(١٨)

كما أن الحسبة لم تقتصر على الجانب الاقتصادي، بل امتدت لتشمل الجوانب العمرانية والاجتماعية، حيث كان المحتسب يشرف على تنظيم البناء، وضبط مساحات الطرق، ومنع التعديات على المرافق العامة، مما يعكس شمولية دوره في الحياة الحضرية، وقد وردت في كتب الحسبة إشارات إلى ضرورة الحفاظ على نظافة الشوارع والأسواق، ومنع تراكم القاذورات، وتنظيم أماكن بيع اللحوم والأسماك بما يضمن الصحة العامة، هذا الاهتمام يعكس وعي الحضارة الإسلامية بأهمية البيئة العمرانية في حياة الناس، ويكشف عن مدى تطور الفكر التنظيمي في الغرب الإسلامي.(١٩)

تمثل الوثائق التجارية الجانب العملي للحياة الاقتصادية، حيث تكشف عن طبيعة التفاعلات بين التجار والحرفيين والمستهلكين، وتوضح كيفية إبرام العقود وتنظيم الشراكات ومنح واسترداد القروض، تعكس هذه الوثائق أن الحياة الاقتصادية في المدن الأندلسية والمغربية كانت تُدار وفق نظام دقيق من الضوابط الشرعية والاجتماعية، معتمدة على الثقة والشفافية والالتزام بالقيم الإسلامية، كما تكشف عن تطور النظام المالي، حيث تشير إلى استخدام الصكوك والكمبيالات ووجود نظام متقدم للقروض والائتمان، مما يعكس مدى تقدم الحياة الاقتصادية.(٢٠)

لعبت الحسبة دوراً أساسياً في تنظيم الأسواق والحرف، حيث كانت تُشرف على توزيع الأنشطة التجارية، وتراقب جودة المنتجات، وتمنع الغش والاحتكار، مما ساهم في استقرار الأسواق ومنحها طابعاً أخلاقياً يميزها عن الأسواق في حضارات أخرى، كما ساعدت الحسبة في تعزيز مكانة المدينة كمركز حضاري، حيث وفرت للسكان الثقة في عدالة السوق، وشجعت التجار على الالتزام بالقواعد الشرعية، مما جعل الأسواق أكثر جذباً للتجار من مختلف المناطق.(٢١)

أسهمت الوثائق التجارية في تعزيز مكانة المدن الأندلسية والمغربية كمراكز حضارية، حيث أظهرت تطور النظام الاقتصادي وعكست شبكة واسعة من العلاقات التجارية التي امتدت من المشرق إلى أوروبا، ومن خلال هذه الوثائق، يمكننا فهم كيف كانت هذه المدن جزءاً من شبكة التجارة العالمية، وكيف ساهمت في تدفق السلع والثروات، مما عزز من دور الحضارة الإسلامية في العالم.(٢٢)

كانت الحسبة والوثائق التجارية معاً بمثابة الضمان لاستقرار الحياة الاقتصادية والاجتماعية، حيث مثل المحتسب السلطة الأخلاقية التي تُشرف على الأسواق والحرف، بينما كانت الوثائق التجارية تعكس الجانب العملي الذي يظهر طبيعة المعاملات والعلاقات الاقتصادية. ومن خلالهما، نستطيع أن نفهم كيف استطاعت

الحضارة الإسلامية تحقيق توازن بين القيم الدينية والتنظيم العملي، وإنشاء منظومة اقتصادية متكاملة تعكس روح الإسلام ومبادئه.[٢٣]

تكشف دراسة الحسبة والوثائق التجارية في المدن الأندلسية والمغربية عن مدى تطور الحضارة الإسلامية في الغرب الإسلامي، وتظهر كيف استطاعت هذه الحضارة تحقيق توازن بين الدين والاقتصاد، وبين القيم الأخلاقية والتنظيم العملي، كما تبرز هذه الدراسة دور الحسبة في تشكيل البنية الاجتماعية والثقافية، وتوضح كيف كانت الوثائق التجارية جزءاً من منظومة حضارية متكاملة، ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث في فهم طبيعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المدن الأندلسية والمغربية، وإبراز دورها في تشكيل هوية الحضارة الإسلامية في الغرب الإسلامي.

الخاتمة:

لقد كشفت دراسة الأسواق والحرف في المدن الأندلسية والمغربية، من خلال كتب الحسبة والوثائق التجارية، أن الحياة الاقتصادية في الغرب الإسلامي كانت أكثر من مجرد نشاط مادي؛ بل كانت تجسيدًا لحضارة متكاملة تجمع بين القيم الروحية والتنظيم العملي ، إذ كانت الأسواق تمثل القلب النابض للمدينة، حيث تلتقي السلع والثقافات وتتكون العلاقات الاجتماعية، بينما كانت الحرف تشكل العمود الفقري للإنتاج الصناعي، مما أسهم في تشكيل هوية حضارية فريدة، أما الحسبة والوثائق التجارية، فقد وفرتا ضمانة لاستقرار هذه المنظومة، حيث أدت الحسبة دورًا رقابيًا شاملًا، بينما كانت الوثائق التجارية بمثابة الشاهد العملي على طبيعة المعاملات الاقتصادية، ومن خلال هذا التفاعل بين الأسواق والحرف والحسبة، تمكنت الحضارة الإسلامية في الأندلس والمغرب من تحقيق توازن بين الدين والاقتصاد، وابتكار نموذج حضاري فريد ترك أثره في صفحات التاريخ.

النتائج:

١. كانت الأسواق في المدن الأندلسية والمغربية مؤسسات اقتصادية واجتماعية وثقافية، وليست مجرد أماكن للتجارة.

٢. تنوعت الحرف بشكل كبير، وكانت مرتبطة بتنظيمات مهنية دقيقة، مما يعكس تطور النظام المهني في الغرب الإسلامي.

٣. لعبت مؤسسة الحسبة دورًا محوريًا في تنظيم الأسواق والحرف، وأسهمت في تعزيز الثقة بين أفراد المجتمع.

٤. تكشف الوثائق التجارية عن شبكة واسعة من العلاقات الاقتصادية، وتظهر مدى تطور النظام المالي في المدن الأندلسية والمغربية.

٥. يعكس التفاعل بين الأسواق والحرف والحسبة والوثائق التجارية مدى تكامل الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الغرب الإسلامي.

التوصيات:

١. ضرورة توسيع نطاق دراسة كتب الحسبة والوثائق التجارية كمصادر أولية تكشف عن تفاصيل دقيقة للحياة الاقتصادية والاجتماعية.

٢. تشجيع الباحثين على إجراء مقارنات بين التجربة الأندلسية والمغربية وتجارب حضارية أخرى، لإبراز خصوصية الغرب الإسلامي.

٣. الاستفادة من الوثائق التجارية في إعادة بناء صورة دقيقة عن العلاقات الاقتصادية، وربطها بالواقع الاجتماعي والثقافي.

٤. تعزيز الدراسات التي تربط بين الاقتصاد والدين في الحضارة الإسلامية، لإظهار كيف ساهمت القيم الروحية في تنظيم النشاط الاقتصادي.

٥. العمل على نشر وتحقيق المزيد من كتب الحسبة والوثائق التجارية، لتكون متاحة للباحثين والدارسين.

الهوامش:

(١)سالم جمعة إغريبيل أحمد، أثر طرق القوافل التجارية العابرة للصحراء الكبرى على المنظومة الاقتصادية في المغرب والأندلس خلال العصور الوسطى: دراسة وصفية تحليلية ، المجلة الشاملة للدراسات الإنسانية التربوية، المجلد (٢)، العدد(١)، ٢٠٢٦، ص ص ٩١٢-٩٢١.

(٢)جهاد غالب مصطفى الزغول، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير منشورة، الجامعة الاردنية،كلية الدراسات العليا، ١٩٩٤، ص ص١٣-١٥.

(٣)ابن حيان، أبو مروان، ابن حيان القرطبي [ت ٤٦٩ هـ] ،المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة،١٣٩٠ هـ ،ص٥٤٨.

(٤)السقطي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي،آداب الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال – كولان ،مطبعة إرنست لورو – باريس،١٩٣١م، ص٢١.

(٥)ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، مقدمة ابن خلدون، تحقيق:أ.م كاترمير، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٢م، ج ٢، ص ص ٧٤٦ – ٧٤٧.

(٦)المقري التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ)،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ،بيروت،١٩٩٧م، ج١، ١٩٠٠، ص٢١٨.

(٧)ابن تيمية ؛أحمد بن عبد الحليم،الحسبة في الإسلام أوْ وَظِيفَةُ الحكومة الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،(ب.ت)، ص٢٧.

(٨)نور الدين بعكاك، العقود والمعاملات الأندلسية من خلال وثائق وسجلات ابن العطار،مجلة العبر للدراسات التاريخية و الاثرية في شمال افريقيا،المجلد(٤)، العدد(٢)،٢٠٢١، ص ص٢٥٥-٢٧٠.

(٩)رنان اسيا؛ لطيفة بن عميرة، وصف أسواق الأندلس وبلاد المغرب قبل وأثناء القرن ٥-٦هـ / ١١-١٢م: دراسة تاريخية اقتصادية،مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد(٥٠)، ٢٠٢١، ص ص٤٩-٥٨.

(١٠)ابن سعيد المغربي، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت ٦٨٥هـ) ،المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف،دار المعارف ، القاهرة ،١٩٥٥، ج٢، ص٦٨.

(١١)الإدريسي؛ أبي عبد الله، محمد بن محمد بن عبد الله بنوال رئيس المشهودي الحسني،نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،٢٠٠٢م،ج١، ص٤٢٣.

(١٢)محمد القماطي، الحِرف و الصِناعاتْ في فاس خلال عصر المُوَحدينْ ٥٤٠-٦٤٦هـ/١١٤٦-١٢٤٨م/،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ٢٠١٨،ص٧٣.

(١٣)ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت نحو ٦٩٥هـ)،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تحقيق ومراجعة: بشار معروف، محمود عواد،دار الغرب الإسلامي، تونس،٢٠١٣، ص١٢٩.

(١٤)ابن الأخوة؛ محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد بن الأخوة، القرشي، ضياء الدين (ت ٧٢٩هـ)،معالم القربة في طلب الحسبة،تحقيق: محمد شعبان، ضعيف المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٧٦م، ص٢١٨.

(١٥)ابن بسام؛ محمد بن أحمد ابن بسام المحتسب، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،٢٠٠٣م، ص١٧٨.

(١٦)ابن عبدون، محمد بن احمد التجيبي،رسالة في القضاء والحسبة،دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠٠٩، ص٦٤.

(١٧)أحمد بن سعيد المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير،تقديم وتحقيق: موسى لقبال،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،(ب.ت)،ص٣٨.

(١٨)ابن فرحون؛ إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (ت ٧٩٩هـ)،تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، دار علم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣م، ص٢٢٧.

(١٩)المقري التلمساني، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق: علي الشنوفي، المعهد الثقافي الفرنسي ، دمشق- سوريا،١٩٦٧م، ص٩٣.

(٢٠)ابن العطار؛ محمد بن أحمد الاموي،كتاب الوثائق والتسجيلات، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مديد،١٩٨٣م،ص٤٢٧.

(٢١)السقطي ، مصدر سابق، ص ٩٨.

(٢٢)الفاسي؛ عبد الرحمن، خطة الحسبة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٤م، ص ١٧.

(٢٣)الونشريسي ؛ أحمد بن يحيى،المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقية والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (ب.ت)، ج ١٠، ص ٧٧.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا- المصادر:

(١)الإدريسي؛ أبي عبد الله، محمد بن محمد بن عبد الله بنوال رئيس المشهودي الحسني،نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،٢٠٠٢م،ج١ .

(٢)ابن الأخوة؛ محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد بن الأخوة، القرشي، ضياء الدين (ت ٧٢٩هـ)،معالم القربة في طلب الحسبة،تحقيق: محمد شعبان، ضعيف المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٧٦م.

(٣)ابن بسام؛ محمد بن أحمد ابن بسام المحتسب، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،٢٠٠٣م.

(٤)ابن تيمية ؛أحمد بن عبد الحليم،الحسبة في الإسلام أوْ وَظِيفَةُ الحكومة الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،(ب.ت).

(٥)ابن حيان، أبو مروان، ابن حيان القرطبي [ت ٤٦٩ هـ] ،المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة،١٣٩٠ هـ .

(٦)ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، مقدمة ابن خلدون، تحقيق:أ.م كاترمير، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٢م، ج ٢.

(٧)ابن سعيد المغربي، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت ٦٨٥هـ) ،المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف،دار المعارف ، القاهرة ،١٩٥٥، ج٢.

(٨)السقطي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي،آداب الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال – كولان ،مطبعة إرنست لورو – باريس،١٩٣١م.

(٩)ابن عبدون، محمد بن احمد التجيبي،رسالة في القضاء والحسبة،دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠٠٩.

(١٠)ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت نحو ٦٩٥هـ)،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تحقيق ومراجعة: بشار معروف، محمود عواد،دار الغرب الإسلامي، تونس،٢٠١٣.

(١١)ابن العطار؛ محمد بن أحمد الاموي،كتاب الوثائق والتسجيلات، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مديد،١٩٨٣م.

(١٢)الفاسي؛ عبد الرحمن، خطة الحسبة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٤م.

(١٣)ابن فرحون؛ إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (ت ٧٩٩هـ)،تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، دار علم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣م.

(١٤)المقري التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ):

أ- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ،بيروت،١٩٩٧م، ج١، ١٩٠٠.

ب- تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق: علي الشنوفي، المعهد الثقافي الفرنسي ، دمشق- سوريا،١٩٦٧م.

(١٥)الونشريسي ؛ أحمد بن يحيى،المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقية والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (ب.ت)، ج ١٠.

ثانيا- المراجع:

(١)أحمد بن سعيد المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير،تقديم وتحقيق: موسى لقبال،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،(ب.ت).

ثالثا- رسائل الماجستير:

(١)جهاد غالب مصطفى الزغول، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير منشورة، الجامعة الاردنية،كلية الدراسات العليا، ١٩٩٤.

(٢)محمد القماطي، الحِرف و الصِناعاتْ في فاس خلال عصر المُوَحدينْ ٥٤٠-٦٤٦هـ/١١٤٦-١٢٤٨م/،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ٢٠١٨.

رابعا- المجلات والدوريات:
(١)رنان اسيا؛ لطيفة بن عميرة، وصف أسواق الأندلس وبلاد المغرب قبل وأثناء القرن ٥-٦هـ / ١١-١٢م: دراسة تاريخية اقتصادية،مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد(٥٠)، ٢٠٢١.
(٢)سالم جمعة إغريبيل أحمد، أثر طرق القوافل التجارية العابرة للصحراء الكبرى على المنظومة الاقتصادية في المغرب والأندلس خلال العصور الوسطى: دراسة وصفية تحليلية ، المجلة الشاملة للدراسات الإنسانية التربوية، المجلد (٢)، العدد(١)، ٢٠٢٦.
(٣)نور الدين بعكاك، العقود والمعاملات الأندلسية من خلال وثائق وسجلات ابن العطار،مجلة العبر للدراسات التاريخية و الاثرية في شمال افريقيا،المجلد(٤)، العدد(٢)،٢٠٢١.

List of Sources and References:
First - Sources:
(1) Al-Idrisi; Abu Abdullah, Muhammad ibn Muhammad ibn Abdullah ibn Nawal, the chief of the Mashhudi al-Hasani, Nuzhat al-Mushtaq fi Ikhtiraq al-Afaq, Maktabat al-Thaqafa al-Diniyya, Cairo, 2002 CE, Vol. 1.
(2) Ibn al-Ukhuwwa; Muhammad ibn Muhammad ibn Ahmad ibn Abi Zayd ibn al-Ukhuwwa, al-Qurashi, Diya al-Din (d. 729 AH), Ma'alim al-Qurba fi Talab al-Hisba, edited by: Muhammad Sha'ban, Da'if al-Muti'i, Egyptian General Book Authority, Cairo, 1976 CE.
(3) Ibn Bassam; Muhammad ibn Ahmad ibn Bassam al-Muhtasib, Nihayat al-Rutba fi Talab al-Hisba, edited by: Muhammad Hassan Muhammad Hassan Ismail, Ahmad Farid al-Mazidi, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 2003 CE.
(4) Ibn Taymiyya; Ahmad ibn Abd al-Halim, Al-Hisba fi al-Islam aw Wazifat al-Hukuma al-Islamiyya, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut - Lebanon, (n.d.).
(5) Ibn Hayyan, Abu Marwan, Ibn Hayyan al-Qurtubi [d. 469 AH], Al-Muqtabas min Anba' Ahl al-Andalus, edited by: Mahmoud Ali Makki, Supreme Council for Islamic Affairs, Cairo, 1390 AH.
(6) Ibn Khaldun, Abd al-Rahman ibn Muhammad, Muqaddimah Ibn Khaldun, edited by: A.M. Quatremère, Library of Lebanon, Beirut, 1992 CE, vol. 2.
(7) Ibn Sa'id al-Maghribi, Abu al-Hasan Ali ibn Musa ibn Sa'id al-Maghribi al-Andalusi (d. 685 AH), Al-Maghrib fi Hula al-Maghrib, edited by: Shawqi Dayf, Dar al-Ma'arif, Cairo, 1955 CE, vol. 2.
(8) Al-Saqati, Abu Abd Allah Muhammad ibn Abi Muhammad al-Saqati al-Malaqi al-Andalusi, Adab al-Hisbah, edited by: Lévi-Provençal-Colin, Ernest Loroux Press, Paris, 1931 CE.
(9) Ibn Abdun, Muhammad ibn Ahmad al-Tujibi, A Treatise on Judiciary and Hisbah, Dar Ibn Hazm for Printing, Publishing and Distribution, 2009.
(10) Ibn Adhari al-Marrakushi, Abu Abdullah Muhammad ibn Muhammad (d. c. 695 AH), Al-Bayan al-Mughrib fi Akhbar al-Andalus wa al-Maghrib, edited and reviewed by: Bashar Maarouf, Mahmoud Awad, Dar al-Gharb al-Islami, Tunis, 2013.
(11) Ibn al-Attar, Muhammad ibn Ahmad al-Umawi, Kitab al-Watha'iq wa al-Tasjilat, Spanish-Arab Institute of Culture, Medina, 1983.

(12) Al-Fasi, Abd al-Rahman, Khitat al-Hisbah, Dar al-Thaqafa, Casablanca, 1984.
(13) Ibn Farhun, Ibrahim ibn Ali ibn Muhammad, Ibn Farhun, Burhan al-Din al-Ya'muri (d. 799 AH), Tabsirat al-Hukkam fi Usul al-Aqdiya wa Manahij al-Ahkam, Dar Alam al-Kutub, Riyadh, 2003.
(14) Al-Maqqari al-Tilimsani, Shihab al-Din Ahmad ibn Muhammad al-Maqqari al-Tilimsani (d. 1041 AH).
(15) Nafh al-Tayyib min Ghusn al-Andalus al-Ratib, wa-Dhikr Waziriha Lisan al-Din ibn al-Khatib, edited by Ihsan Abbas, Dar Sader, Beirut, 1997 CE, vol. 1, 1900.
(16) Tuhfat al-Nadhir wa-Ghunyat al-Dhakir fi Hifz al-Sha'a'ir wa-Taghyir al-Manakir, edited by Ali al-Shanoufi, French Cultural Institute, Damascus, Syria, 1967 CE.
(17) Al-Wansharisi, Ahmad ibn Yahya, Al-Mi'yar al-Maghrib wa-al-Jami' al-Maghrib 'an Fatawa 'Ulama' Ifriqiya wa-al-Andalus wa-al-Maghrib, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, (n.d.), vol. 10.

Second - References:

1.Ahmed bin Saeed Al-Majildi, Al-Taysir fi Ahkam Al-Tas'ir (Facilitation in Pricing Regulations), edited and introduced by Musa Laqbal, National Publishing and Distribution Company, Algeria, (n.d.).

Third - Master's Theses:

1. Jihad Ghaleb Mustafa Al-Zaghoul, Crafts and Industries in Andalusia from the Islamic Conquest until the Fall of Granada, published Master's thesis, University of Jordan, Faculty of Graduate Studies, 1994.
2. Muhammad Al-Qamati, Crafts and Industries in Fez during the Almohad Era 540-646 AH/1146-1248 AD, unpublished Master's thesis, Cairo University, 2018.

Fourth - Journals and Periodicals:

1. Ranan Asia; Latifa Bin Amira, A Description of the Markets of Andalusia and the Maghreb Before and During the 5th-6th Century AH/11th-12th Century AD: A Historical and Economic Study, Journal of Historical and Social Studies, Issue (50), 2021.
2. Salem Jumaa Ighribil Ahmed, The Impact of Trans-Saharan Trade Caravan Routes on the Economic System in Morocco and Andalusia during the Middle Ages: A Descriptive and Analytical Study, Comprehensive Journal of Human and Educational Studies, Volume (2), Issue (1), 2026.
3. Nour El-Din Baakak, Andalusian Contracts and Transactions through the Documents and Records of Ibn Al-Attar, Al-Ibar Journal for Historical and Archaeological Studies in North Africa, Volume (4), Issue (2), 2021 .